وفى سنة ١٨٩٦ كان النزاع مشتداً بين شركات السكك الحديد الاميركية . وكان (جي كوو) و(جيم فيسك) من رجال البنوك الكبار يعملان معاً على كسر شركات السكك الحديد في ميدان الحرب المالية بغية السيطرة عليها . وسيطرا فعلاً على شركة واحدة . واذ هما فى سبيلهما الى النصر ـ على الشركات الاخرى ، قابلهما (مورغان) اجابة لاستغاثة رؤساء بعض الشركات التي اوشكت ان تنكسر أمامهما ، وقابلهما بدهائه واموله العظيمة ، وحيله المختلفة ، وانصاره الكثيرين ، فتم له النصر عليهما ، ولكنه انتصر من الجهة الثانية على هذه الشركات التي استنجدت به كذلك فسيطر عليها باموله ونفوذه .

ومن اعماله العظيمة التي باشرها بعد ذلك انشاء شركة (تروست) لاستخراج الفولاذ من مناجمه والمتاجرة به وكانت الغاية منها محاربة (كارنجي) ملك الفولاذ . وقد التف حوله بعض الاغنياء أهل الملايين من حساد (كارنجي) واعدائه ومنافسيه . فكان رأس مال هذه الشركة اكثر من اربعمائة مليون من الدولارات .

ثم التفت الى البحر المحيط الاطلانتيكي يريد السيطرة على كل ما فيه من وسائط نقل . فجمع حوله بضع شركات فأسس منها ومن بعض اموله (تروست) رأس مالها (٦٠) مليوناً ، و باشر (التروست) بشراء البواخر واستخدامها فى نقل الناس من اميركة الى اوربة ومنها اليها . لكنها لم تنجح لقلة رأس المال .

وفى الحين عينه كان يؤسس شركة زراعية عظيمة رأس مالها (٨٠) مليوناً ، ولها ثلاثون معملاً . فربح منها ارباحاً هائلة ، فكانت خير عوض له عن (تروست) البحر المحيط . .

تعريب (م . أ)

المحيط الطبيعي
وتغلب الانسان عليه

ـ ٢ ـ

اين نشأت المدنيات الاولى

لا نريد ان نبحث في مسألة تحدر الانسان من اصلاب الحيوان الاول ، بل نريد ان نعلم اين بدأ الانسان يسعى فى تقدمه ، أو بعبارة اخرى نريد ان نعلم اين بدأ تاريخ الانسانية ؟

لقد وجد الانسان الاول على هذه البسيطة وهو لا يملك سلاحاً غير آلات اولية بسيطة لاتقيه شر الحيوانات المفترسة ولكنه حسن بمرور الايام تلك الآلات واضحى يتخذها من الحديد بعد ان كان يتخذها من الحجارة . وبعد ان كان وحشياً يهيم على وجهه باحثاً عما يسد رمقه ، بدأ يدجن الحيوانات ويستخدمها ، ثم تعلم قطف المفيد من الاثمار والاكتفاء بها فى عيشه نوعاً ما . ثم بعد ذلك اهتدى الى الزراعة بفعل عوامل محيطه القاسية ، ومكافحته الطبيعة مكافحة مستمرة .

الزراعة كانت فى البدء غير كافية لمعيشته ومواشيه فكان من جراء ذلك بدوياً يتنقل من محل الى آخر ليجد المرعى لمواشيه . غير انه بتوالي الايام حسن آلات زراعته ، فبعد ان كان يحرث بالعود اضحى يحرث بالحديد ، وقد استوطن في محل واحد ، وبدأ يعمل على توسيع زراعته ، وتحسين آلاته ، وباتصاله مع مايحيط به من ابناء جنسه أنشأ طريقة المقايضة والتجارة حتى بلغ بعد قرون عدة الى هذه المدنيات العظيمة التي تمثل أمامنا الآن .

فالانسان اذاً تدرج في الرقي من الوحشية الى البربرية ، ومنها الى المدنية .
والتاريخ يقر بهذا التطور ، وتؤيده الاكتشافات الأثرية العلمية .

* * *

نجد هناك شعوباً لاتزال فى دور الوحشية ، مع ان شعوباً غيرها تقدمت في المدنية ومعالمها ، وآثارها لاتزال موضع اعجاب علماء الحفريات . ومن يتصفح التاريخ يرى تلك المدنيات اينعت وازدهرت بادئ بدء فى الشرق — فى المناطق المعتدلة منه — ثم انتقلت الى البلدان الاخرى . فلم كان ذلك ؟

لاشك ان البرد في القطبين الشمالي والجنوبي شديد جداً ، والثلج مستديم طول ايام السنة . لذلك لايستطيع الانسان الاول ان يعيش فيهما أو يقاوم بردهما بما اوتي من وسائط .

اما فى المناطق الحارة ، القريبة من خط الاستواء ، حيث الخصب وسهولة العيش ، فقد بقي الانسان الاول يعيش على جمع الاثمار الطبيعية وحدها ، ونظراً لسهولة ذلك ظل خاملاً ومتأخراً . فالحياة فى تلك المناطق سهلة لا فى ايام معدودة من السنة بل في كل فصولها .

غير ان الحالة تختلف تماماً فى الاماكن المعتدلة ، اذ ان للسنة هناك فصولاً تختلف فى التأثير . فما يجده الانسان من وسائط العيش فى فصل لايجده فى آخر ، أو يجده ولكنه قليل لايكاد يكفيه . فيحدث من ذلك مجاعة تسوق الجماعات الى الهجرة ، أو تحسين وسائط العيش بتغيير آلات الزراعة وغير ذلك . فكل هذا كان عاملاً قوياً ، ودافعاً حمل تلك الشعوب على الجد والعمل .

* * *

الشروط الجغرافية التي ساعدت على تطوير البشرية ، وتقدم المدنيات الاولى هى :

(١) خصب الارض : ولكن ليس خصب البلاد الحارة التي ذكرناها . بل خصب ارض تحرث فتأتي بالنتاج الكثير ، ويزداد ذلك النتاج كلما تحسنت آلات الحرث .

(٢) الحدود الطبيعية : نعني بالحدود الطبيعية ، الموانع الجغرافية التي تمنع الاقوام الرحل عن غزو القوم المستوطنين ضمنها كما كانت حدود مصر .

نشأت المدنيات الاولى على ضفاف النيل (مصر) وفى وديان الفرات ، ودجلة (العراق) وحول نهر كنيج (الهند) وهانكهو (الصين) . ولقد كانت الانهار فى هذه البقاع مخوفة ، مرعبة عند الانسان الاول لما تحدثه فى فيضانها من الخراب في منازله ونفوسه . فطالما جرفت مياهها مئات من النفوس ليلاً وهم فى مساكنهم نيام .

فاذا كان فيضان التيمس فى القرن العشرين يخرب عشرات المساكن ، ويغمر مئات من المساكن مع تقدم الوسائط الآليـــة ، فكيف بذلك الانسان الضعيف ؟

غير انه قل تأثير ذلك بعد ان استخدم الانسان مياه الفيضان وسخرها لريه بعد ان كان يفزع منها ، وعلمته التجاريب فصل الفيضان فأخذ يتخذ الحيطة لنفسه من خطره . كان لكل من البقاع التي تخترقها هذه الانهر حدود طبيعية منيعة ، واراض خصبة ، وكان النهر واسطة للمواصلات بين الاقوام المستوطنة على ضفافه .

تختلف مدنية كل من تلك البقاع عن الاخرى بحسب تلك الحدود أو الموانع الجغرافية . فمصر مثلاً فصلتها مناعة حدودها الطبيعية عن بقية العالم — كما بينا فى المقال السابق — وسبب هـذا الانفصال تأخر سكانها لعدم اختلاطهم بالامم المجاورة بعد تغلبهم على صعوبات محيطهم .